الولايات المتحدة والشرق الاوسط ــ علاقة جديدة ؟

بما اننا اكتشفنا تغيرا في تقارير المجلات الاميركية الاسبوعية عن أخبار الشرق الأوسط في حرب ١٩٧٣ ، فاننا بحاجة الى ان نسأل ما هي العوامل التي سببت التغيير وما اذا كانت عابرة زائلة أو جوهرية(٢١). لا شك في ان العرض العربي المتحسن في حرب تشرين أرغم الولايات المتحدة ، والغرب عامة ، والاسرائيليين الى حد ما ، على القيام « باعادة تقييم أليمة » للحالة ولافتراضاتهم الاساسية (أساطيرهم) المتعلقة بها . وبكلام آخر ، ايقاظهم بعنف من نومهم الطويل . وقد سبق لنا ان بحثنا هذا الوجـــه .

وبصرف النظر عن الحرب نفسها ، فان مواقف العرب والاسرائيليين والاميركيين تحتاج الى فحص من أجل ادلة ممكنة . ففي أعقاب حرب ١٩٦٧ قبلت بلدان عربية معينة (مصر والاردن على وجه التخصيص) علنا ولاول مرة بامكانية التعايش السلمي مع اسرائيل عندما التزمت بالقرار رقم ٢٤٢ الصادر عن مجلس الامن التابع للامم المتحدة في الثاني والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٦٧ . وكان هذا بالفعل تحولا رئيسيا في الموقف وتنازلا كبيرا لاسرائيل . وتبنت معظم البلدان العربية ، لا كلها قطعا ، موقف « لننتظر ونر » لتقرير ما اذا كان الاسرائيليون سينسحبون فعـــلا من الاراضي التي احتلوها عام ١٩٦٧ مقابل الاعتراف العربي. وكانت «سلبية» الاسرائيليين عينها حول هذه القضية هي التي دفعت الكثيرين من الناس ، بمن فيهم زعماء بلدان عديدة ، الى السخط على الاسرائيليين . وفيما استمر الاسرائيليون يعززون قبضتهم على الاراضي المحتلة عن طريق تشييد طرقات جديدة واقامة مستوطنات جديدة واقتراح السماح للاسرائيليين الافراد بشراء الاراضي ، صار للادعاء الاسرائيلي بأن « كل شيء قابل للتفاوض فيه » نبرة كاذبة . ومن هنا العدد الساحق من البلدان التي صوتت لشجب اسرائيل في الثاني والعشرين من آذار (مارس) ، ١٩٧٢ (لجنة الامم المتحدة حول حقوق الانسان) وفي تموز (يوليو)، ١٩٧٣ (مجلس الامن التابع للامم المتحدة). كما ان قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ ، وخطة وزير الخارجية الاميركية وليم روجرز ، ومهمة غونار يارينغ أخفقت جميعها لان الاسرائيليين أظهروا أنهم يؤثرون الارض على الانسحاب ، والاعتراف على السلام . وعندما اندلعت الحرب وطال أمدها ، أشـــار الكثيرون من الصحافيين الغربيين الى التصلب الاســرائيلي السابق كســـبب جزئي للحرب . كذلك ، قطعت الكثير من البلدان الافريقية علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل للسبب نفسه .

وفي وقت واحد تقريبا مع التطورات الآنفة الذكر ، كان الرأي العام الاميركي يتصلب ضد أي تورط عسكري اميركي جديد في الخارج ، بعد الاختبار الذي ترك جراحا عميقة في الفيتنام . ومع ان الاميركيين كانوا بوجه عام يشعرون بالعطف على اسرائيل ، فقد أخذوا يخشون الانجرار الى « حرب برية اخرى » في آسيا . والى ذلك لم يكن ثمة شك في انه كان بوسع اسرائيل ان تحمي نفسها بصورة أكثر من وافية ولم يكن هناك خوف من تدمير اسرائيل ومن « رمي الاسرائيليين في البحر » .

ويبدو ان عاملين آخرين ساعدا في احداث التغيير الملاحظ في الجداول المنشورة . كان العامل الاول هو الوفاق ــ أي سياسة التفاهم مع الاتحاد السوفياتي لكي تتعاون الدولتان المتفوقتان في مختلف المسائل الاقتصادية والسياسية وحتى قضايا الاسلحة الاستراتيجية . وهذه هي الاستجابة الايجابية للخوف من مواجهة نووية بين البلدين حول منطقة توجد فيها مشكلات مثل الشرق الاوسط . وبكلام آخر أخذ الكثيرون من